الحلقة الرابعة

(سُنن مريم العذراء عليها السلام في فاطمة الزهراء عليها السلام) وفيها

* السيدة مريم الصغرى عليها السلام .

*السيدة مريم الكبرى عليها السلام .

* القواعد التأويلة .

* سُنَّةُ ذكر السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم وإنطباقها على السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

* سُنَّةُ إسم البتول لدى السيدة مريم عليها السلام وإنطباقها على السيدة الزهراء عليها السلام.

* مقامات السيدة مريم العذراء عليها السلام في السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام .

* الآية الأولى: قال تعالى ﴿فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ آل عمران:٣٧.

الآية الثانية: قال تعالى ﴿وَإِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ﴾ آل عمران:٤٢.

*الآيـة الثالثـة: قـال تعـالى ﴿يـا مَرْيَـمُ اقْنُتـي لِرَبِّـكِ وَاسْـجُدي وَارْكَعـي مَـعَ الرَّاكِعـينَ﴾ آل عمـران:٤٣ .

* الآيـة الرابعـة: قـال تعـالى ﴿إِذْ قالَـتِ الْمَلائِكَـةُ يـا مَرْيَـمُ إِنَّ اللَّـهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَـةٍ مِنْهُ اسْـمُهُ الْمَسيحُ عيسَى ابْـنُ مَرْيَـمَ وَجيهـاً فِي الدُّنْيـا وَالْآخِـرَةِ وَمِـنَ الْمُقَرَّبـينَ﴾ آل عمـران:٤٥ .

الآيـة الخامسـة: قـال تعـالى ﴿مَـا الْمَسيحُ ابْـنُ مَرْيَـمَ إِلاَّ رَسُـولٌ قَـدْ خَلَـتْ مِـنْ قَبْلِهِ الرُّسُـلُ وَأُمُّـهُ صِدِّيقَـةٌ كانـا يَـأْكُلانِ الطَّعـامَ انْظُرْ كَيْـفَ نُبَـيِّنُ لَهُـمُ الْآيـاتِ ثُـمَّ انْظُرْ أَنَّـى يُؤْفَكُـونَ﴾ المائـدة:٧٥ .

* الآيـة السادسـة: قـال تعـالى ﴿وَجَعَلْنَـا ابْـنَ مَرْيَـمَ وَأُمَّـهُ آيَـةً وَآوَيْناهُمـا إِلى رَبْـوَةٍ ذاتِ قَـرارٍ وَمَعـينٍ﴾ المؤمنـون:٥٠ .

السيدة مريم الصغرى عليها السلام

إن القرآن الكريم ذكر من الرجال الشامخين الكثير كالأنبياء عليهم السلام، ولم يذكر من النساء إلا القليل ومن هذه النسوة البارزات مريم العذراء عليها السلام الموصوفة بسيد النساء ويحق للنصارى أن يفتخروا بها، ولكن هل ذكر القرآن الكريم إمرأة من المسلمين يفتخرون بها؟

نعم ذكر إثنتين بالإشارة والتأويل أولهما أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى، والثانية إبنتها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله، يعرف ذلك من خلال قاعدة أسباب النزول، ومن قاعدة الجري وقاعدة الظاهر والباطن .

إن للقرآن الكريم ظاهراً وباطناً وأنه يجري على الباقين كما جرى على الماضين، فلما ذكر القرآن الكريم السيدة مريم العذراء عليها السلام ووصفها بأنها سيدة نساء العالمين، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله (فَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةُ فَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ)[1]، وهو الذي دلنا على هذه السُنَّة العظيمة الجارية في سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام إذ قال صلى الله عليه وآله في الحديث المشهور عن بضعته (هَذِهِ وَاللَّهِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، هَذِهِ وَاللَّهِ مَرْيَمُ الْكُبْرَى)[2] فمادامت السيدة الزهراء عليها السلام هي الكبرى فإن السيدة مريم العذراء عليها السلام هي الصغرى بالتقابل، إذ ذكرها القرآن الكريم

---

(١) الأمالي (للصدوق)، النص، ص ٤٨٧ .

(٢) طرف من الأنباء و المناقب، ص ١٥ .

في واحد وثلاثين موضعا مع ولدها، ولكن ما يخص السيدة مريم العذراء عليها السلام فقد ذكرت في عشرين موضعاً مهما يبين مرتبتها وعلو شأنها كالطهارة والاصطفاء والوحي، وإن هذا بعينه جارٍ في السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وهو ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام إذ قَالَ في قوله تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها﴾ التحريم:١٢ (هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِفَاطِمَةَ)(١)، فهذه دلالة على أن المراد من ﴿مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ﴾ في زمانها هي أُم عيسى، وأما مريم زماننا فهي السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وإن الله تعالى لم يذكر السيدة مريم عليها السلام إلا لتغدو مثلا للزهراء عليها السلام.

السيدة مريم الكبرى عليها السلام

وصفت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بأنها الكبرى، إذ وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال(هَذِهِ وَاللَّهِ مَرْيَمُ الْكُبْرَى)(٢) فما معنى الكبرى؟ الكبرى بمعنى أنها الفضلى أي إنها أفضل وأكرم وأشرف وأعلى مرتبة من السيدة مريم العذراء ع، إن القرآن الكريم لم يذكر إسم إمرأه قط غير السيدة مريم العذراء ع، وقد ذكر نساء كثيره تحت عنوان إمرأة ﴿إِنِّي وَجَدْتُ إِمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾النمل:٢٣، وهي بلقيس، ﴿وَقالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لي وَ لَكَ﴾القصص:٩، وهي السيدة آسيا ع، أما اللفظ الصريح لم يذكر إلا للسيدة مريم العذراء عليها السلام في

(١) تاويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ص: ٦٧٧ .

(٢) طرف من الأنباء و المناقب، ص: ١٥ .

الظاهـر (وهي الصغرى) والسـيدة الزهراء عليها السلام في الباطـن هي الكبرى فما علينـا إلا أن نتبـع الآيـات التي ذكرت السـيدة مريم العـذراء عليها السلام لنَعبُر من خلالها إلى مريم زماننا وهي سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام.

القواعد التأويلة

من القواعد التأويلية المشخصة للمصاديق الخارجية والتي تنقل المصداق مـن زمان نزوله إلى زماننا هي قاعد ة (الظاهـر والباطن) والتي مفادها (ظاهر القـرآن الكريم في الذي نزل فيهـم، وباطنه في الذين عملـوا بمثل أعمالهم)، وقاعدة الجري التي مفادها (فما نزل في قوم فهو جارٍ في قوم آخرين) .

فالسـيدة مريم عليها السلام في الظاهر هي والدت نبي الله عيسـى عليه السلام، والسيدة مريـم عليها السلام في الباطـن هـي السـيدة فاطمـة الزهـراء عليها السلام، فمريـم عـصر النـزول هي (أم النبي عيسـى عليه السلام)، ومريم عصر التأويل هي (السـيدة فاطمة الزهـراء عليها السلام)، فمـا نزل في السـيدة مريـم عليها السلام يقـرأ بلحـاظ (تأويله قبل تنزيله)، وما جرى على السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يقرأ بلحاظ (ما تأويله بعد تنزيله)، بهذا الفهم نفهم ما أراده رسـول الله صلى الله عليه وآله لما طبق آيات السـيدة مريم العـذراء عليها السلام الصغرى على السـيدة مريـم الكبرى، مع التأكيـد أن ما نزل في الأنبياء عليهم السلام يجري في الأوصياء عليهم السلام، وما نزل في السيدة مريم العذراء عليها السلام لا يجري إلا في السـيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لأنهم من طبقة واحدة وهم الحجج الإلهيـة نعم هناك تفاوت بالأفضلية وهي سُـنَة جاريـة في الخلق، ولنأتي على السُنَن واحدة وبعد أخرى .

سُنَّةُ ذكر السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم وإنطباقها على السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

كلما ذُكر إسم السيدة مريم العذراء عليها السلام في القرآن الكريم فهو مراد الله وهو الوجه الأول وهو التنزيل، ولكن مراده ووجهه الأعلى فهو السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وهو مراد الله والوجه الثاني وهو التأويل، وقلنا بأن التأويل تشخيص المصاديق، ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله (هَذِهِ وَاللَّهِ مَرْيَمُ الْكُبْرَى)[1] فهو مراد الله الأعلى .

سُنَّةُ إسم البتول لدى السيدة مريم عليها السلام وإنطباقها على السيدة الزهراء عليها السلام.

من أسماء السيدة مريم عليها السلام أنها البتول والمتبتلة أي المنقطعة للعباده لذا فإن إسمها إسم وصفي لها، فإذا كان التبتل في السيدة مريم العذراء عليها السلام بمعنى الإنقطاع فإن التبتل في السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أعلى وأرقى مرتبة وإن كانت هي السيدة مريم العذراء عليها السلام بمعنى المتبتلة فإن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي المتبتلة الكبرى، ووجه آخر إن البتول هي من البتل وهو القطع فإن بنات الأنبياء عليهم السلام لايرين الحمرة قط، لطهارتهن .

---

(١) من الأنباء و المناقب، ص: ١٦٩ .

مقامات السيدة مريم العذراء عليها السلام في السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

* **الآيـة الأولى**: قال تعـالى ﴿فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَـنٍ وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَـناً وَكَفَّلَهـا زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَـلَ عَلَيْها زَكَرِيَّـا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَهـا رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ آل عمران:٣٧.

ماهي المقامات المريمية والفاطمية في هذه الآية؟

آ. مقام القبول الحسن ﴿فَتَقَبَّلَها رَبُّها﴾، فهي مقبولة و﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾، وأما ﴿وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً﴾ مقام النبات الحسن، يعني أنبتها ذرية حسنة، وهي المكفولة فقد كفلها النبي زكريا عليه السلام ﴿وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا﴾ وهو مقام الكفالـة، وهي المرزوقة ﴿وَجَـدَ عِنْدَها رِزْقاً﴾ وهـو مقام المرزوقة، عندما سـألها النبي زكريا عليه السلام ﴿يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشـاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ هذه المنازل والمناقب والمراتب المريمية هي نفسـها منطبقة على السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فإن الله تقبلها بقبول حسـن، وأنبتها نبات حسـنا فهي أم الحسن والحسين والمحسـن عليهم السلام لاحـظ الدقة في قولـه تعـالى ﴿وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَـناً﴾ حسـين مشتق من حسـن وهو مصغر حسـن، وكذلك محسن مشتق من حسـن، ﴿وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا﴾ فإذا كان النبي زكريا عليه السلام قد كفل السيدة مريم العذراء عليها السلام فمن كفل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام؟

كفلهـا الإمام علي عليه السلام كفلها قبل أن يتزوجها عندما هاجر الإمام علي عليه السلام إلى المدينة المنورة متكفلا بالفواطم الأربعة وهن (فاطمة بنت رسول الله عليها السلام،

وفاطمة بنت أسـد (أمه)عليها السلام، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وفاطمة بنـت الحمزة بن عبد المطلب) وكان خير كافـل لهن في الهجرة ولقد وصلن مدينة رسـول اللهصلى الله عليه وآله سالمات آمنات وعندما زوجها الإمام عليعليه السلام ولم يكن هنـاك كفؤ غير الإمـام عليعليه السلام كفلها، فالـزوج يتكفل زوجتـه فكفلها الإمام عـليعليه السلام (أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ عَلِيَّ بْـنَ أَبِي طَالِبٍعليه السلام لَمَا كَانَ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِصلى الله عليه وآله كُفْؤٌ مِنَ الْخَلْقِ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ)[1].

فها هنا أربع مقامات (فهي المقبولة عند ربها، وهي التي أنبتها الله نباتا حسنا فهي الحسـناء أم الحسن والحسين والمحسنعليهم السلام، وهي المكفولة من قبل الإمام عـليعليه السلام، وهي المرزوقة من الله،)، هذه هي القـراءة التأويلية للنص، تعالوا معنا لنرى ماذا قال الإمام الباقرعليه السلام والرواية في تفسـير العياشي وفرات الكوفي وينقلها الشـيخ الصدوق في أماليه ونقلها الصحابـة أمثال عبد الله بن عباس وأبي سـعيد الخدري رضـوان الله تعالى عليهم عَـنْ أَبِي جَعْفَرٍعليه السلام قَالَ (إِنَّ فَاطِمَـةَعليها السلام ضَمِنَتْ لِعَلِيٍّعليه السلام عَمَلَ الْبَيْتِ وَالْعَجِـينَ وَالْخُبْزَ وَقَمَّ الْبَيْتِ، وَضَمِـنَ لَهَا عَلِيٌّعليه السلام مَا كَانَ خَلْفَ الْبَابِ نَقْلَ الْحَطَبِ وَأَنْ يَجِيءَ بِالطَّعَامِ فَقَالَ لَهَـا يَوْماً يَا فَاطِمَةُ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ وَالَّذِي عَظَّمَ حَقَّكَ مَاكَانَ عِنْدَنَا مُنْذُ ثَلَاثَـةِ أَيَّـامٍ شَيْءٌ نَقْرِيكَ بِهِ قَالَ أَفَلَا أَخْبَرْتِنِي؟ قَالَتْ كَانَ رَسُـولُ اللَّهِصلى الله عليه وآله نَهَانِي أَنْ أَسْـأَلَكَ شَـيْئاً فَقَالَ لَاتَسْـأَلِينَ إِبْنَ عَمِّكِ شَـيْئاً إِنْ جَاءَكِ بِشَيْءٍ (عَفْوٍ) وَإِلَّا فَلَا تَسْـأَلِيهِ، قَالَ فَخَرَجَعليه السلام فَلَقِيَ رَجُلًا فَإِسْـتَقْرَضَ مِنْهُ دِينَاراً ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ وَقَدْ أَمْسَـى فَلَقِيَ مِقْدَادَ بْنَ الْأَسْـوَدِ فَقَالَ لِلْمِقْدَادِ مَاأَخْرَجَكَ فِي هَذِهِ السَّـاعَةِ قَالَ

(١) تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام، ص: ٣٢ .

الْجُوعُ وَالَّذِي عَظَّمَ حَقَّكَ يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَيٌّ قَالَ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَيٌّ قَالَ فَهُوَ أَخْرَجَنِي وَقَدِ إِسْتَقْرَضْتُ دِينَاراً وَسَأُوثِرُكَ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ فَوَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله جَالِساً وَفَاطِمَةُ تُصَلِّي وَبَيْنَهُمَا شَيْءٌ مُغَطًّى فَلَمَّا فَرَغَتْ إِجْتَرَّتْ ذَلِكَ الشَّيْءَ فَإِذَا جَفْنَةٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ قَالَ يَا فَاطِمَةُ ﴿أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَلَا أُحَدِّثُكَ (بِمَثَلِكَ وَمَثَلِهَا)؟ قَالَ بَلَى قَالَ مَثَلُكَ مَثَلُ زَكَرِيَّا إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرْيَمَ الْمِحْرَابَ فَوَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ ﴿يامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ فَأَكَلُوا مِنْهَا شَهْراً وَهِيَ الْجَفْنَةُ الَّتِي يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ عج وَهِيَ عِنْدَنَا)[1] أنظر كيف نزلت هذه الآية وإنها سُنَّةٌ جارية من السيدة مريم العذراء عليها السلام إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

إذا السُنَّةُ الجارية هي (إن الله قَبِلَ السيدة مريم العذراء عليها السلام بقبول حسن، وقبل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بقبول حسن، وإن السيدة مريم العذراء عليها السلام أنبتها نباتا حسنا وهو النبي عيسى عليه السلام إبن السيدة مريم العذراء عليها السلام، وإن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أنبتها نباتا حسنا وهو الإمام الحسن والإمام الحسين والمحسن عليهم السلام وذرية الرسول منها، ﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ﴾ على السيدة مريم العذراء عليها السلام وجدها متبتلة منقطعة إلى الله كذلك السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام متبتلة منقطعة إلى الله، كلما دخل عليها كفيلها الإمام علي عليه السلام وجد عندها رزقا ﴿يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ

(١) تفسير العياشي، ج١، ص: ١٧١ .

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ كلما دخل الإمام علي عليه السلام قَالَ يَا فَاطِمَةُ ﴿أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ أنظر إلى هذه السُنَّنُ القرآنية كيف تجري فما جارى في الأنبياء يجري في الأوصياء، وما جرى بالعذراء يجري في الزهراء عليها السلام.

* **الآيـة الثانية:** قال تعـالى ﴿وَإِذْ قالَتِ الْمَلائِكَـةُ يا مَرْيَـمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمينَ﴾ آل عمران: ٤٢.

وفيها مقامات ومراتب.

آ. ﴿وَإِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ﴾ إن السيدة مريم العذراء عليها السلام كانت محدثة تسمع حديث الملائكة.

ب. ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ﴾ الإصطفاء الأول إنها إبنة سلالة الأنبياء عليهم السلام.

ج. ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ فإنها طاهرة مطهرة زكية جليلة.

د. ﴿وَاصْطَفاكِ عَلى نِسـاءِ الْعالَمينَ﴾ الإصطفاء الثاني أن الله إصطفاها لأن تنجب كلمة الله وهوالنبي عيسى بن مريم العذراء عليها السلام.

لذا عندما سُـئل الإمام الباقر عليه السلام عن قول الله في الكتاب ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ﴾ آل عمران ٤٢، إصطفاهـا مرتين والإصطفاء إنما هو مرة واحدة؟ قال: فقال لي يا حكم إن لهذا تأويلا وتفسيرا، فقلت له ففسره لنا أبقاك الله، قال يعني إصطفاها إياها أولا من ذرية الأنبياء عليهم السلام المصطفين المرسـلين، وطهرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سـفاحا، وإصطفاها بهذا في القرآن الكريم ﴿يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ

وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي﴾ شكرا لله)[1]، طبعا التأويل (هو تشخيص المصداق) والتفسير (هو دلالة نص) هذا في منهج أهل البيت عليهم السلام.

فهاهنا مراتب: المحدثة، المصطفاة، والمطهرة .

هذه الآية نفسها (عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاس عَنْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: وَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةُ فَإِنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَهِيَ نُورُ عَيْنِي وَهِيَ ثَمَرَةُ فُؤَادِي وَهِيَ رُوحِيَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ وَهِيَ الْحَوْرَاءُ الْإِنْسِيَّةُ مَتَى قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا جَلَّ جَلَالُهُ ظَهَرَ نُورُهَا لِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ كَمَا يَظْهَرُ نُورُ الْكَوَاكِبِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ يَا مَلَائِكَتِي انْظُرُوا إِلَى أَمَتِي فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ إِمَائِي قَائِمَةً بَيْنَ يَدَيَّ تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهَا مِنْ خِيفَتِي وَقَدْ أَقْبَلَتْ بِقَلْبِهَا عَلَى عِبَادَتِي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ شِيعَتَهَا مِنَ النَّارِ وَأَنِّي لَمَّا رَأَيْتُهَا ذَكَرْتُ مَا يُصْنَعُ بِهَا بَعْدِي كَأَنِّي بِهَا وَقَدْ دَخَلَ الذُّلُّ بَيْتَهَا وَانْتُهِكَتْ حُرْمَتُهَا وَغُصِبَتْ حَقَّهَا وَمُنِعَت إِرْثَهَا وَكُسِرَ جَنْبُهَا وَأَسْقَطَ جَنِينَهَا وَهِيَ تُنَادِي يَا مُحَمَّدَاهْ فَلَا تُجَابُ وَتَسْتَغِيثُ فَلَا تُغَاثُ فَلَا تَزَالُ بَعْدِي مَحْزُونَةً مَكْرُوبَةً بَاكِيَةً تَتَذَكَّرُ انْقِطَاعَ الْوَحْيِ عَنْ بَيْتِهَا مَرَّةً، وَتَتَذَكَّرُ فِرَاقِي أُخْرَى، وَتَسْتَوْحِشُ إِذَا جَنَّهَا اللَّيْلُ لِفَقْدِ صَوْتِيَ الَّذِي كَانَتْ تَسْتَمِعُ إِلَيْهِ إِذَا تَهَجَّدْتُ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ تَرَى نَفْسَهَا ذَلِيلَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي أَيَّامِ أَبِيهَا عَزِيزَةً فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤْنِسُهَا اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِالْمَلَائِكَةِ فَنَادَتْهَا بِمَا نَادَتْ بِهِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ فَتَقُولُ (يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)، (يَا فَاطِمَةُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)، ثُمَّ يَبْتَدِئُ بِهَا الْوَجَعُ

(١) تفسير العياشي، ج١، ص: ١٧٣ .

فَتَمْرَضُ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهَا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ تُمَرِّضُهَا وَتُؤْنِسُهَا فِي عِلَّتِهَا فَتَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ يَا رَبِّ إِنِّي قَدْ سَئِمْتُ الْحَيَاةَ وَتَبَرَّمْتُ بِأَهْلِ الدُّنْيَا فَأَلْحِقْنِي بِأَبِي فَيَلْحَقُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِي فَتَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَلْحَقُنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَتَقْدَمُ عَلَيَّ مَحْزُونَةً مَكْرُوبَةً مَغْمُومَةً مَغْصُوبَةً مَقْتُولَةً فَأَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ اللَّهُمَّ الْعَنْ مَنْ ظَلَمَهَا وَعَاقِبْ مَنْ غَصَبَهَا وَذَلِّلْ مَنْ أَذَلَّهَا وَخَلِّدْ فِي نَارِكَ مَنْ ضَرَبَ جَنْبَهَا حَتَّى أَلْقَتْ وَلَدَهَا فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ آمِينَ)[1]، هذه الآية تكررت في روايات الصحابة فإشتهر عند الكثير من الرواة الصحابة أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين فلما نزلت هذه الآية ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ﴾ ويردفها فورا رسول الله صلى الله عليه وآله قائلا ولكن إبنتي السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سيده نساء العالمين من الأولين والآخرين فيقول له الصحابة يا رسول الله أوليس القرآن الكريم يقول إن السيدة مريم العذراء عليها السلام هي سيده نساء العالمين؟ قال بلى هي كذلك ولكنها سيده نساء عالمها، ولما جاء نور الزهراء عليها السلام غطى نورها الأكوان فكانت سيدتها، ولقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال (إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام مُحَدَّثَةً لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ فَتُنَادِيهَا كَمَا تُنَادِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ فَتَقُولُ (يَا فَاطِمَةُ اللَّهُ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ)، (يَا فَاطِمَةُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)، فَتُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهَا فَقَالَتْ لَهُمْ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَلَيْسَتِ الْمُفَضَّلَةُ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ فَقَالُوا إِنَّ مَرْيَمَ عليها السلام كَانَتْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ عَالَمِهَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ

(١) الأمالي (للصدوق)، النص، ص: ١١٣ .

وَجَلَّ جَعَلَكِ سَيِّدَةَ نِسَاءِ عَالَمِكِ وَعَالَمِهَا وَسَيِّدَةَ نِسَاءِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ)[١]، بعض شعراء أهل البيت عليهم السلام يجعل مقارنة لطيفة بين أمنا السيدة حواء عليها السلام، وبين السيدة مريم العذراء عليها السلام أم المسيح عليها السلام، وبين السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام فماذا يقول الشيخ محسن أبو الحب الكبير قدس سره يقول:

إن قيل حوا قلت فاطم فخرها أو قيل مريم قلت فاطم أفضل

أفهل لحوا والد كمحمد أم هل لمريم مثل فاطم أشبل[٢]

كإنه يقول إن الملائكة إذا حدثت نبياً أو ولياً فيكون مُحَدَث، والسيدة مريم عليها السلام كانت مُحَدَثة كذلك السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مُحَدَثة، ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وآله يقول (فَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةُ فَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَإِنَّهَا لَتَقُومُ فِي مِحْرَابِهَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَيُنَادُونَهَا بِمَا نَادَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مَرْيَمَ فَيَقُولُونَ (يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)[٣]

فالسنة الجارية هي قوله تعالى ﴿يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ﴾ لإن إصطفى الله السيدة مريم عليها السلام من بيوتات الأنبياء عليهم السلام فإن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إصطفيت من أشرف بيوتات الأنبياء عليهم السلام في قوله صلى الله عليه وآله (يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)[٤] وقوله تعالى (وَطَهَّرَكِ) فإن

---

(١) علل الشرائع، ج١، ص: ١٨٢ .

(٢) الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، ص ٢٠٧ .

(٣) الأمالي (للصدوق)، النص، ص: ٤٨٧ .

(٤) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى (ط - القديمة)، ج٢، ص: ١٩٩ .

كانت السيدة مريم عليها السلام مطهرة فإن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مطهرة بنص آيـة التطهير في قوله تعـالى ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُـمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾الأحزاب:٣٣، ولئن إصفاها مرة ثانية لتنجب النبي عيسى إبـن السـيدة مريم العـذراء عليها السلام كلمة الله فـإن الله إصطفى السـيدة فاطمة الزهـراء عليها السلام لتنجـب الأئمـة الأوصياء من ذرية رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وهم من صلب أمير المؤمنين علي بـن أبي طالب ع، فهاهنا مراتب المُحَدَثة المصطفاة والمطهرة .

* **الآيـة الثالثة:** قـال تعالى ﴿يا مَرْيَـمُ اقْنُتي لِرَبِّـكِ وَاسْـجُدي وَارْكَعي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ آل عمران:٤٣ .

ظاهرهـا في السـيدة مريـم العذراء عليها السلام فالقانته إسـم للسـيدة مريم عليها السلام والقانتـة تعنـي العابدة ولقد جاء النص القـرآني يقول ﴿ يا مَرْيَـمُ اقْنُتي لِرَبِّكِ وَاسْجُدي وَارْكَعي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ فهي العابدة الراكعة الساجدة، مع الراكعين حقا وهو الإمام علي عليه السلام كما في آية الولاية ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَ الَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾المائدة ٥٥ .

فالنبـي قرأها تأويلا فقال صلى الله عليه وآله (يَا فَاطِمَةُ إقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْـجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)[١] المراد من القانته أي الداعية إلى الله والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي أم الدعاء وصاحبة التسبيح، فهنا بنص هذه الآية مقام القنوت يعني الدعاء ومقام السـجود يعني السـاجدة والراكعة، مع من سجدت؟ ومع من ركعت؟ ﴿اقْنُتي لِرَبِّكِ وَاسْجُدي وَارْكَعي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ من صفتهم الركوع وهو لازم

(١) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى (ط – القديمة)، ج٢، ص: ١٩٩ .

لهم، بمعناه اللغوي الخضوع، والسجود بمعناه اللغوي الخشوع، فالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ساجدة راكعة خاشعة خاضعة لربها مع الخاضعين مع الخاشعين والراكعين، فمن هم الركعون؟

يأتينا الجواب من الله في قاعدة قرآنية تفسر بعضه بعضا قال تعالى ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾المائدة:٥٥، فالراكعون في هذه الآية هم النبي محمد صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والائمة عليهم السلام، فهي راكعة مع هؤلاء الراكعين، ﴿يا مَرْيَمُ اقْنُتي لِرَبِّكِ وَاسْجُدي وَارْكَعي مَعَ الرَّاكِعينَ﴾ وفي آية أخرى في سورة التوبة ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنينَ﴾لتوبة:١١٢، وهم الأئمة عليهم السلام فهنا ثلاث مراتب هي (الراكعون، الساجدون، القانتون).

* **الآية الرابعة**: قال تعالى ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسيحُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجيهاً فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبينَ﴾ آل عمران:٤٥.

قوله تعالى ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ﴾ السيدة مريم العذراء عليها السلام إذا تسمع قول الملائكة وهذا وحي والوحي ليس فقط للرسول بل الوحي في كتاب الله على ثمانية أوجه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام(مِنْهُ وَحْيُ النُّبُوَّةِ وَمِنْهُ وَحْيُ الْإِلْهَامِ وَمِنْهُ وَحْيُ الْإِشَارَةِ وَمِنْهُ وَحْيُ أَمْرٍ وَمِنْهُ وَحْيُ كَذِبٍ وَمِنْهُ وَحْيُ تَقْدِيرٍ وَمِنْهُ وَحْيُ خَبَرٍ وَمِنْهُ وَحْيُ الرِّسَالَةِ)[1] إثنان منها وحي الرسالة والنبوة

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٩٠، ص: ١٦.

وست منها وحي غير النبوة والرسالة قال تعالى ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعيهِ﴾القصص:٧، فلما تحدث الملائكة يعني توحي، فهنا السيدة مريم عليها السلام مُحَدَثة ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ هنا مرتبة السيدة مريم العذراء عليها السلام مبشره ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسيحُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وهذه الكلمة هي النبي عيسى بن السيدة مريم العذراء عليها السلام ﴿وَجيهاً فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبينَ﴾ فالكلمة في كتاب الله على وجوه مره تكون هذه الكلمة ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا﴾التوبة:٤٠، القرآن الكريم كلمة الله والكلمة تنطبق على الأنبياء النبي عيسى إبن السيدة مريم العذراء عليها السلام وكلمة تنطبق على الأوصياء والكلمات هنا الائمة عليهم السلام ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ﴾البقرة:٣٧، لما نرجع إلى تفسير الكلمات (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله عَنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاها آدَمُ مِنْ رَبِّهِ فَتابَ عَلَيْهِ قَالَ سَأَلَهُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ إِلَّا تُبْتَ عَلَيَّ فَتَابَ عَلَيْهِ)[1] فهم الأسماء والكلمات وهم الكلمات، في قصة النبي إبراهيم عليه السلام عندما قال له الرب ﴿وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾البقرة:١٢٤،عن المفضل بن عمر عندما سأل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى قوله تعالى (فَأَتَمَّهُنَّ) أجابه الإمام عليه السلام (قَالَ يَعْنِي فَأَتَمَّهُنَّ إِلَى الْقَائِمِ عج اثْنَيْ عَشَرَ إِمَاماً تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ)[2] .

إذاً السيدة مريم العذراء عليها السلام تحدثها الملائكة توحي إليها بالبشارة (أن الله

---

(١) الأمالي(للصدوق)، النص، ص: ٧٦

(٢) الخصال، ج١، ص: ٣٠٥ .

سيرزقك كلمة منه) ما هي هذه الكلمة؟ فالنبي عيسى بن السيدة مريم عليها السلام، ولئن بشرت الملائكة السيدة مريم العذراء عليها السلام أنها ستنجب كلمة الله فإن الملائكة بشرت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بأنها ستنجب كلمات الله، السيدة مريم العذراء عليها السلام جاءت بكلمة بينما السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام جاءت بالكلمات وهم الأئمة الحسن والحسين والتسعه المعصومين من ذرية الإمام الحسين عليه السلام ولذلك فإن السيدة مريم العذراء عليها السلام بُشرت بولدها والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بُشرت بالإمام الحسن والإمام الحسين (فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله بَشَّرَهَا عِنْدَ وِلَادَةِ كُلٍّ مِنْهُمَا بِأَنْ يَقُولَ لَهَا لِيَهْنِئْكِ أَنْ وَلَدْتِ إِمَاماً يَسُودُ أَهْلَ الْجَنَّةِ)[1]، كلما ولدت إمام بشرها النبي صلى الله عليه وآله والملائكة ليهنئك فهذا إمام وهذا سيد أهل الجنة .

في الكثير من المواطن في القرآن الكريم عندما يريد الله جل وعلا أن يذكر النبي عيسى عليه السلام يقول (عيسى إبن مريم عليه السلام) كقوله تعالى ﴿وَآتَيْنا عيسَى إبْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ﴾ البقرة ٨٧، وفي عرفنا العربي والعشائري إن الرجل ينسب إلى أبيه وأحيانا يخفي الرجل إسم أمه إلا إذا كان لها مواصفات الشرف والسؤدد والكرامة والشفاعة والنور والمرتبة والقرب إلى الله، لذلك أغلب الآيات التي ذكر فيها إسم النبي عيسى عليه السلام في القرآن الكريم يقول ﴿عيسَى إبْنَ مَرْيَمَ﴾ لا من جهة أن ليس له أب فحسب، بل ليبين فضل السيدة مريم العذراء ومرتبتها فيفتخر النبي عيسى عليه السلام بأنه إبن السيدة مريم العذراء عليها السلام كما إن الكثير من الروايات على لسان النبي صلى الله عليه وآله يخاطبها ويخاطب أولادها

(١) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام (لابن شهرآشوب)، ج٣، ص: ٣٥٩ .

بأن الإمام الحسين عليه السلام إبن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ)[١] وفي الحديث المشهور العظيم الذي هو مستفيض في كتب الفريقين (عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ)[٢] لماذا لم يقول صلى الله عليه وآله من ولد الإمام علي عليه السلام؟ فهو إبن الإمام علي!؟ بل يريد أن يبين أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لها مرتبة عظيمة أعلى من مرتبة السيدة مريم العذراء عليها السلام الصغرى، فكما إن هذه محدثة، هذه محدثة بمرتبة أعلى، وكما أن هذه مطهرة، هذه مطهرة بمرتبة أعلى، وكما أن هذه مبشرة بكلمة، فهذه مبشرة بكلمات، وكما أن هذه مصطفاة هذه مصطفاة بمرتبة أعلى، فذرية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لهم مرتبة جليلة من جهة الأم أيضا، ولهذا لما سأل هارون العباسي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سؤال فقال (مَا لَكُمْ لَا تَنْسُبُونَ إِلَى عَلِيٍّ وهُوَ أَبُوكُمْ وَتَنْسُبُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَهُوَ جَدُّكُمْ فَقَالَ مُوسَى عليه السلام إِنَّ اللَّهَ نَسَبَ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليها السلام إِلَى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِأُمِّهِ مَرْيَمَ الْبِكْرِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ فِي قَوْلِهِ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعِيسى وَإِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾)[٣] النسبة للآباء هذا أمر معروف ولكن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أجابه إن الله نسب المسيح عيسى بن السيدة مريم العذراء عليها السلام إلى خليله إبراهيم عليه السلام بأمه السيدة مريم العذراء عليها السلام

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ج٤، ص: ٥٧٨ .

(٢) الغيبة (للطوسي): كتاب الغيبة للحجة، النص، ص: ١٨٦ .

(٣) تحف العقول، النص، ص: ٤٠٥ .

فإننا نُسبنا إلى جدنا من جهة أمنا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كما نُسب النبي عيسى عليه السلام إلى خليل الله إبراهيم عليه السلام من جهة أمه لأن النبي عيسى عليه السلام ليس له أب والله عز وجل جعله كذلك ليكون إبن السيدة مريم العذراء عليها السلام فينسب إلى النبي إبراهيم عليه السلام والنبي عيسى عليه السلام إبن النبي إبراهيم عليه السلام فيستدل على إن الأئمة الأطهار أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام (فَنَسَبَهُ بِأُمِّهِ وَحْدَهَا إِلَى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام كَمَا نَسَبَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَمُوسَى وَهَارُونَ عليهم السلام بِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ فَضِيلَةً لِعِيسَى عليه السلام وَمَنْزِلَةً رَفِيعَةً بِأُمِّهِ وَحْدَهَا وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي قِصَّةِ مَرْيَمَ عليها السلام ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ بِالْمَسِيحِ مِنْ غَيْرِ بَشَرٍ وَكَذَلِكَ اصْطَفَى رَبُّنَا فَاطِمَةَ عليها السلام وَطَهَّرَهَا وَفَضَّلَهَا عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)[1] فالزهراء في هذه الاية لها مراتب أنها محدثة ومبشَرة وأم الكلمات الطيبة الذين جعلهم الله وجهاء الدنيا والأخرة .

* **الآية الخامسة**: قال تعالى ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ المائدة: ٧٥ .

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ هنا بيان لمرتبة ومقام (مقام الصديقة) مقام عظيم للسيدة مريم العذراء عليها السلام، ما معنى صديقة صديقة؟ لأنها صدقت بآبائها الأنبياء وصدقت بالكلمة الذي هو النبي عيسى إبن السيدة مريم العذراء عليها السلام إبنها وصدقت برسول آخر الزمان محمد صلى الله عليه وآله ووصيه علي عليه السلام

(١) تحف العقول، النص، ص: ٤٠٥ .

وأبنائهم الطاهرين عليهم السلام كذلك السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يقول الإمام الكاظم عليه السلام (إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام صِدِّيقَةٌ شَهِيدَةٌ وَإِنَّ بَنَاتِ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَطْمَثْنَ)[1] كما إن الله وصف السيدة مريم العذراء عليها السلام ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾

وفي زيارة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام نخاطبها بمقام الصديقة فنقول لها (أَنَا لَكِ مُصَدِّقٌ صَابِرٌ عَلَى مَا أَتَى بِهِ أَبُوكِ وَوَصِيُّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَأَنَا أَسْأَلُكِ إِنْ كُنْتُ صَدَّقْتُكِ إِلَّا أَلْحَقْتِنِي بِتَصْدِيقِي لَهُمَا لِتُسَرَّ نَفْسِي فَاشْهَدِي أَنِّي ظَاهِرٌ بِوَلَايَتِكِ وَوَلَايَةِ آلِ بَيْتِكِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)[2] نطلب منها أن تشهد لنا (فَاشْهَدِي) يعني مقام الصديقة أو مقام المصادقة مثال على ذلك مما جرى عليه العرف عند الدوائر الحكومية في بيان ثبوت حقيقة الأوراق الرسمية تطلب الدائرة الحكومية مصادقة (صحة صدور) فصحة صدور عقيدتنا نأخذها من السيدة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ع، فنحن نأتي بالشهادة لله ولرسوله وللائمة عليهم السلام والسيدة الزهراء عليها السلام تصادق على الصادق منا وتكذب المنافق منا، فهنا مقام الصديقة .

* **الآية السادسة:** قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ المؤمنون: ٥٠ .

قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ يعني جعلنهما حجة فأما السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حجة على الحجج عليهم السلام فهم حجج وهذه حجة ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ تفسيرها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام أن

(١) مسائل علي بن جعفر و مستدركاتها، ص: ٣٢٥ .
(٢) جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص: ٣٢ .

السيدة مريم العذراء عليها السلام جاءت هنا إلى كربلاء ووضعت وإغتسلت وغسلت ولدها في ﴿قَرارٍ وَمَعِينٍ﴾ في نهر الفرآت كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام عندما نزل أرض كربلاء وكان معه نفر من أصحابه الخلص (هَذِهِ وَاللَّهِ الرَّبْوَةُ ذَاتُ قَرارٍ وَمَعِينٍ، الَّتِي وُلِدَ فِيهَا عِيسَى عليه السلام، وَفِي مَوْضِعِ الدَّالِيِّ مِنْ ضَفَّةِ الْفُرَاتِ غَسَلَتْ مَرْيَمُ عليها السلام، وَاغْتَسَلَتْ وَهِيَ الْبُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي نَادَى اللَّهُ مُوسَى عليه السلام مِنَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ مَحَطُّ رِكَابِ مَنْ هَنَّأَ اللَّهُ بِهِ جَدَّهُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَزَّاهُ)[1]، أنظروا لهذه النكات العميقة والسُنَنُ الجارية بين السيدة مريم العذراء عليها السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، فكما كان النبي عيسى عليه السلام كلمة كان هو وأمه آية، وكذلك سيدتنا فاطمة الزهراء هي آية وأولادها آيات .

(١) الهداية الكبرى، ص: ١٢١ .